قرأت العدد الماضي من "الآداب"

نظرة الى العدد الممتاز

بقلم عبد الجليل حسن

***

قبل أي شيء هناك كلمة عامة عن هذا العدد الذي خصص لموضوع « نحو ثورة ثقافية عربية » ، فهو يطرح عددا من القضايا البالغة الاهمية . وبالنسبة لي فلا يمكنني التعرض بالمناقشة لمدى شمول التخطيط العام لموضوعات العدد حتى تستوفي الاحاطة بمختلف جوانب الموضوع المطروح ، فقد اتيح لي ان اعرف هذا التخطيط العام ومدى طموح هذه الخطة التي وضعت له والى أي حد اصيب هذا التخطيط بالفجوات من جراء تخلف الكثيرين من الكتاب عن معالجة الموضوعات المكلفين بها وعدم قيامهم بالتزاماتهم كما اشار الى ذلك الدكتور سهيل ادريس في افتتاحية العدد .

واعترف انني واحد من هؤلاء الذين تخلفوا عن الوفاء بالتزاماتهم والذين تلحقهم ـ ولا مفر ـ الآفة التي اشير اليها في الافتتاحية ، ويأمل المرء دائما ان يصلح بعضا من نقائصه العديدة .

ويعكس العدد الماضي ، بمقالاته ودراساته، احساسا عميقا بالحاجة الى التغيير الشامل الجذري في حياتنا الثقافية . ويعبر عن احساس عام بالرفض لكثير من المفاهيم ، والرغبة الجارفة في مناقشة الامور من جديد بل واعادة مناقشة البديهيات . وهنا ـ في هذه الايام التي نعيشها ـ مناخ عام غريب يشجع على المزايدة والتطرف او التصلب بمعنى ادق بل واحيانا الدعوة « الى حركات فوضوية تخرب المؤسسات القائمة وتتحدى اجهزة الامن وتجعل الحياة في المدن مستحيلة » (ص ١٢١) وايضا هناك من يدينون امورا تظهر هي نفسها جلية في كتاباتهم ... وحسب « الآداب » امانة ، ووفاء بالمسؤولية ، وصدق تعبير عن واقعنا الثقافي بكل ما يموج به ويعتمل في داخله ، انها قدمت للمثقفين العرب كل هذا في عدد واحد من اعدادها .

وكما قيل في الافتتاحية « ان الميزان الذي يجب ان نزن به مختلف مظاهر نشاطنا الثقافي الذي يتجه الى ثورة شاملة ، هو ميزان النقد والموضوعية ، وليس ميزان الرفض والسلب والنزق العصبي» . والانطباع العام الذي يخرج به القارىء حين يتمسك بهذا الميزان هو اننا ما زلنا بعيدين ـ او غير قادرين لست ادري ـ عن احداث ثورة ثقافية عربية او على الاقل ثورة من الفكر العربي ، ثورة تكون بمثابة نقطة تحول حقيقي وحاسم وواضح في فكرنا العربي . فهناك احساس شامل بمخاض هذه الثورة ولكنها لم تولد بعد ، وهناك اتجاه عارم نحوها منذ فترة وقبل كارثة يونيو ١٩٦٧ ولكنه يتبدد بفعل عوامل عدة ويساعد على تبدده اكتفاء عامة مثقفينا بالاغراق في النزق العصبي ، واستمراء لوم الحياة العربية المتخلفة ، وسيادة النزعة الماسوشية لتحقير الذات العربية ، وتتغلب حالة التمني والرغبة في احداث وتحقيق هذه الثورة على بذل الجهد والطاقة لبنائها .

وتحتاج مقالات هذا العدد وقصصه وقصائده الى مناقشة مستفيضة ، ولكن هذه الدراسات عديدة ومتشعبة وكثير منها يحتاج الى مراجعة مصادر اخرى للتأكد من مدى توجيه بعض الكتاب للنصوص التي تعرضوا لها ، وليس ذلك كله بالامر المتيسر هذه اللحظة . ومن ثم فلن نستطيع هذه المناقشة لكل مواد العدد ، وانما سنكتفي بمناقشة بعضها كعينات ونماذج لما ورد بالعدد . وليس معنى هذا ان ما لم نقف عنده اقل اهمية مما سنناقشه بل على العكس قد يكون اكثر اهمية بمراحل .

ويمكن تصنيف مواد العدد في عدة مجموعات هي :

ـ مجموعة الدراسات التي تتناول موضوع التراث والدين ، وهي: ثقافتنا المعاصرة بين الاصالة والتقليد للدكتور حسن حنفي ، والموقف من التراث في الدين والفلسفة لجسين مروة ، ونحو ثورة في الفكر الديني للدكتور محمد النويهي .

ـ مجموعة الدراسات والمقالات التي تتناول مظاهر الثورة الثقافيه في المجال الادبي ، وهي : الواقعية والثورة الثقافية في الرواية العربية الحديثة لسامي خشبة ، واصابع حزيران والادب الثوري للدكتور احسان عباس ، والثورة في المسرح العربي لفؤاد دوارة ، والاقصوصة العربية والثورة لصبري حافظ ، وثورة الكوميديا في المسرح المصري : اوديب السبعينات لمحمد بركات ، وحول دور شعر المقاومة الفلسطيني : الشعر والثورة لمحمد دكروب ، وهناك مقال عن الفنان الثوري لسالم جبران من الكتاب العرب بالارض المحتلة .

ـ وفي مجال القصة والشعر هناك قصتان ، لسليمان فياض وللدكتور نعيم عطية ، وقصة من ادب الارض المحتلة لمحمد نفاع ، وهناك مسرحية قصيرة واحدة لمحمد شكري . اما القصائد فقد كانت ست عشرة قصيدة .

ـ ويبقى هناك مقال عن المنهج في ثورة ثقافية عربية لطاع صفدي، ومقالان نقديان يناقش احدهما اساطير المثقفين لجورج طرابيشي والآخر يتطلع الى فكر قومي ثوري لمحيي‌الدين صبحي ، ثم اخيرا ياتي اول مقالات العدد عن الوحدة العربية ومعركة تحرير فلسطين .

ـ ١ ـ

ومقال الدكتور عصمت سيف الدولة عن « الوحدة العربية ومعركة تحرير فلسطين » يحتاج الى الوقوف عنده ، لا لانه يطرح فكرا جديدا حول الموضوع بل لانه يمثل خير تمثيل نمطا من الفكر السياسي الشائع والذي توجد مجموعات عربية تناضل عنه نضالا مستميتا وتؤمن به . وهو مقال مكتوب بعناية شديدة وحرص على الصراحة ايضا ، ويمتاز بالتنظير السياسي المعروض في صورة فكر متكامل مع بعضه البعض ، والكاتب يصل بمقدماته الى مداها ليستخلص النتائج المترتبة عليها .

وكل ما قاله الكاتب عن الوحدة العربية وما تحمله من امكانية هائلة من اجل تحرير فلسطين من الكيان الصهيوني كلام صحيح بشكل مطلق . ولكن هذه الوحدة ودولتها ليست قائمة فعلا ومن ثم فهي غير مستخدمة في المعركة ، وما زالت هدفا على الشعوب العربية ان تسعى اليه وتناضل من اجله . ولا يكفي قط ان نعلل الهزائم العربية بغياب هذه الوحدة .

ويمكن تلخيص ما قدمه الكاتب في فكرتين رئيسيتين هما : انه من المستحيل تحرير فلسطين بدون دولة الوحدة « فالوحدة العربية هي الطريق الموثوق به الى تصفية الوجود الاسرائيلي وتحرير فلسطين » . والفكرة الثانية ان « اقامة دولة فلسطين المسماة ديمقراطية » ، تلك الدولة الاقليمية ، عمل يتعارض تماما مع الدعوة الى الوحدة العربية ، ولا يمكن للقومية العربية ان تقبل بالاستقلال الاقليمي لفلسطين ، وان الدولة الفلسطينية الديمقراطية ستزيد من عوامل التجزئة .

والمقال كله رهان على الهزائم المقبلة والمؤكدة في معركة تحرير

فلسطين ما دامت دولة الوحدة غائبة . وهـذا موقف عقائدي بالنسبة للكاتب لان « الامة العربية » هي « الطرف الاصيل » في معركة فلسطين . و « فلسطين كجزء من الوطن العربي اقليم مملوك ملكية مشتركة للشعب العربي كله ، وليس ملكا خاصا لشعب فلسطين » ، وايضا لن يستطيع احد ان ينتصر في معركة التحرر ما دامت فلسطين محتلة ... ولا بد من سحق الاقليمية والغاء التجزئة واقامة دولة الوحدة النواة ثم الدخول بها معارك تحرير وتوحيد باقي الاجزاء . والحل الوحيد المقبول قوميا للقضية الفلسطينية هو رحيل الغزاة اليهود الذين قدموا الى فلسطين وبقاء اليهود العرب الذين يختارون الوقوف مع الثوار العرب ضد الصهيونية ، وعلينا ان نكف عن النفاق باسم الانسانية وعلى اليهود ان يرحلوا عن فلسطين ، وليذهب الصهاينة الى اعماق البحر ولن نكون نحن المسؤولين .

هذه هي الافكار التي يطرحها الكاتب ويدور حولها ويدافع عنها . وكلامه عن الامكانية التحريرية لدولة الوحدة كلام صحيح تماما ، ولكنه يظل هدفا علينا ان ندعو ونعمل من اجل تحقيقه . ولكن كيف العمل الآن ما دامت دولة الوحدة غائبة ؟ الكاتب يريد ان يقول على العرب اولا ان يقيموا دولة الوحدة ثم يفكروا بعد ذلك في تحرير فلسطين . فهي اذن دعوة الى تأجيل المعركة او الغائها بمعنى ادق انتظارا لدولة الوحدة . ولكن من الصعب تحقيق الوحدة مع وجود دولة اسرائيل المدعومة بالقوى الامبريالية المعادية ، فمن وظائف الكيان الصهيوني تعويق الوحدة العربية . وهذا واحد من الاشكالات التي لم يتعرض لها الكاتب .

وفي تصوري ان طرح قضية « الوحدة العربية ومعركة تحرير فلسطين » على النحو المطروحة به هنا بعيد عن الصواب ولا يخدم القضية بل يضرها لانه يفقل الابعاد المختلفة للقضية ويشدد على بعد واحد منها ويعمل على تغييب وطمس الابعاد الاخرى .

فهناك ابعاد ثلاثة ترتبط بهذه القضية وتؤلف الخلفية التاريخية لاي تحرك يتصل بها ، وينبغي الالتفات الى هذه الابعاد الثلاثة وتجمعاتها المعقدة والمتشابكة والتي يتدخل كل منها بعنصر او بآخر من عناصره العديدة في كل عمل او فكرة تتصل بمعركتنا من اجل استرداد فلسطين العربية . ويمكن اجمال هذه الابعاد فيما يلي :

البعد الاول : ويتمثل في الطابع الاستعماري ، والدولي للقضية . والجانب الدولي لم يكن في صالح القضية على الاطلاق طوال تاريخها ، ولكن الآن هناك تغير حثيث في الموقف الدولي مرتبط بالدول المناهضة للامبريالية والمساندة لحركة التحرر الوطني العالمية . اما الجانب الاستعماري الامبريالي من هذا البعد فمعروف .

البعد الثاني ويتمثل في الطابع العربي للقضية وبروزه بشكل ظاهر على الطابع الفلسطيني . وبدون اللجوء الى استعراض التواريخ والاحداث فان القضية الفلسطينية كانت منذ وقت مبكر « قضية عربية قومية » بالدرجة الاولى منذ سنة ١٩١٩ حيث نودي « باستقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربية » ، وان الدول العربية بالرغم من الاقليمية والتجزئة تولت زمام القضية قبل سنة ١٩٤٨ . والقضية الفلسطينية شأنها شأن اي قضية عربية لها طابعها « القطري » المباشر وطابعها « القومي » العربي العام ، وقد اختفى وغاب جانبها القطري ليبرز بشكل حاد جانبها العربي حتى في ظل التجزئة لان الدول العربية صارت مهددة تهديدا مباشرا بالتوسع الاسرائيلي منذ وجد الكيان الصهيوني في فلسطين ، ولكن لكل دولة عربية على حدة ارتباط بقضية فلسطين و « تصور اقليمي » او قطري يحدد لها المدى الذي تشترك به في المعركة .

البعد الثالث : وهو البعد الفلسطيني الخاص ارضا وشعبا . ولم يكن اجلاء الفلسطينيين عن ارضهم منذ ١٩٤٨ وخروجهم منها تخليا منهم عن هذه الارض وانما كان خروجا بامل التحرير العربي ثم العودة خلف « الجيوش » العربية المحررة . وبعد تفريغ الارض من « شعبها » الفلسطيني العربي ، وزرع الصهاينة امكن تصوير المشكلة الفلسطينية على انها مجرد نزاع بين اسرائيل والدول العربية او انها صراع عربي ـ اسرائيلي ، وبالتالي برزت اسرائيل على حساب طمس فلسطين . وصورت قضية الشعب الفلسطيني المقتلع من ارضه على انها قضية انسانية ، قضية لاجئين ... الخ ، وبالتالي عمل على تغييب وجود الشعب الفلسطيني حتى يختفي الشعب بعد اغتصاب الارض (يمكن الرجوع في موضوع الابعاد الثلاثة للقضية الى مقال بناء الثورة المحاصرة بمجلة الكاتب ـ عدد ابريل ١٩٧٠) .

وواضح اذن ان الكاتب يضغط على بعد واحد للقضية هو البعد العربي ، بل وعلى صورة مستقبلة غير قائمة الآن من صور هذا البعد هي دولة الوحدة ، وفي غمرة الحماسة ينكر « الكيان الفلسطيني » بينما هو رأس الرمح في المعركة الراهنة ، وينبغي التجمع من اجل ابرازه نظرا لما عاناه من الاختزال والتغييب بعد سلب الارض وتشتت الشعب . ودور البعد العربي ان يكون وراء شعب هذه الارض ، الذي هو الطرف الاصيل في القضية ، بمثابة امتداد احتياطي له ورصيده من المقاتلين الثوريين وليس فقط مجرد جبهة مساندة . وبهذا لا تكون معركة تحرير فلسطين ـ حتى بعد ازالة آثار العدوان الاخير ـ معركة صراع عربي اسرائيلي ، مما يتيح للبعد الدولي ان يمارس ضغطه على قضية التحرير الفلسطينية .

وان اتهام دعاة الكيان الفلسطيني حاليا ودعاة دولة فلسطين الديمقراطية بعد معركة التحرير مستقبلا بالاقليمية تصويب للسهام في غير موضعها . فلماذا الالحاح على الاقليمية هنا وترك كل هذه الاقليميات العربية الراهنة ؟ ان التأكيد على « الفلسطينية العربية » والشعب الفلسطيني باعتباره الطرف الاصيل معناه انهنا « شعبهذه الارض » ، والعرب ـ وبضمنهم الشعب الفلسطيني هم ايضا شعب هذه الارض » . ولكن واجب الشعب العربي التاكيد على وجود الشعب الفلسطيني والارض الفلسطينية باعتباره طليعة اصحاب الارض ، وحتى لا نساعد ـ بوعي او بغير وعي ـ على اذابة شعب هذه الارض في المحيط العربي الذي هو جزء منه . وبدلا من ان يكون عندنا شعب « بلا ارض » ولكنه يناضل من اجل استردادها يصبح عندنا « لا الشعب ولا الارض » وعلينا ان نناضل من اجل الارض . ومن العبث البالغ هنا الحديث عما يسمى « بالاقليمية الفلسطينية » في هذه المرحلة ، والجدل حول « كسب فلسطين لدولة الوحدة » ، كان كل الدول العربية اكتسبتها دولة الوحدة ولم تبق الا دولة فلسطين المحررة ، تتمنع على دولة الوحدة ؟..

ويقول الكاتب اننا « لا يجوز ان نتنازل ، او نتراجع عن هدف الوحدة العربية من اجل النصر التكتيكي في اية معركة ولو كانت معركة تحرير فلسطين » ... فهل يتصور الكاتب ان هناك علاقة ما بين هذا التنازل ومعركة تحرير فلسطين ؟! .. ويكفي هنا ان اذكر بقول ابا ايبان في الكنيست « ان اسرائيل لن تعترف بكيان عربي فلسطيني ، وانه لا اساس للكيان الفلسطيني في القانون الدولي او في القومية العربية (؟؟) ، وان اعتراف اسرائيل به سيعرض امنها ووجودها كدولة يهودية للخطر . واضاف ان الكيان الفلسطيني فكرة غامضة ابتكرها رجال الدعاية العرب لتشديد حملاتهم ضد اسرائيل » (عن الاهرام في ١١ مارس ١٩٧٠) .

***

اما الحل السلمي الوحيد المقبول قوميا في راي الكاتب فهو حل من السهل قوله والتمسك به . ولكن الموقف الثوري يتمثل في مواجهة المشكلة مواجهة واقعية وانسانية معا ، ولن يحسم هذه القضية الا نتيجة الحرب التحريرية المنتصرة التي تصفي الكيان الصهيوني ، وتدمر مؤسساته العسكرية ومجتمعه الصهيوني العنصري .

وفي تصوري مرة اخرى ان هذا النمط من الفكر السياسي الذي

ـ التتمة على الصفحة ٨١ ـ

حول قضيـــة الثورة الثقافية

بقلم جمال الشرقاوي

* * *

عندمـا استهل الدكتور سهيل ادريس العدد الماضي مـن الآداب برسم ملامحه للثورة الثقافيـة ، كـان في الواقع يطرح قضية الثـورة الثقافيـة ذاتها ، قبل ان يحدد ملامحها .

فهـو اذ يسال من البداية :« هل نستطيع ان ندعي او نملـك ان تحدث ثورة ثقافيـة في المجتمع العربي ؟ ».. انما ليبيـن ان هـــذه الثورة مثلهـا مثل جميع الاحداث الكبرى في حياة الامم ، لسيت بالشيء الذي يمكـن ابتداعه او عمله بفعل ارادة فرد او جهاز ثقافي او حتى هيئة سياسية .. نظـرا لان الثورة هي بالضرورة حدث موضوعي ، مشروط بتوفـر « عوامل متراكمة » و« عناصر مختلفة » تسهم في خلق« الضرورة الموضوعية »لانبثاقهـا ..

ولعل هذا الادراك العملي لموضوعية الثورة ـ هو الذي ناى برئيس تحرير الاداب عن مزالق التجاوز ، فلم يصبح العدد الممتاز مـن الآداب وعاء لثورة ثقافية ، وانما وقف عند الحد المعقول ، ليمثل خطوة علـى طريـق هذه الثورة او « نحوها » كمـا تحدد في شعـار العدد .

ولعل هذا الادراك نفسه كـان وراء التحفظات العديدة التي اكدها الدكتـور سهيل ادريس في مواجهة الاتجاهات « الارادية » التعسفيـة التي ظهرت في الآونـة الاخيرة ، والتي اعطت نفسها حق تصدير الثورة الثقافيـة الى المجتمع العربي من داخل ذاتها الانفرادية ، وفرضها عليه قسرا ، لانهـا « تحس » ان هذا المجتمع يحتاج الى ثورة ثقافية ، وانـه بالتالي ملزم بان « يثور » ثقافيا ، رغم اي ظروف .. ما داموا هـم يريـدون ذلـك !

وتتمثل تحفظات رئيس التحرير ـ وهي نفسها تشكل منطلقاتـه ومفهوماته عن الثورة الثقافية ـ في رفض كل ما يترتب علـى هـــذه الاتجاهات الذاتيـة ...

فهـو يرفض ان تنطلق الثورة المامولة من هدم كل ما في الماضي وتجاوزه بل ومناقضته .. لانه يعتقد ـ ونحن معه في هذا ـ ان اي ثورة عربيـة جديدة لا يمكـن ان تكـون منفصلـة عن جميع الثورات العربية السابقـة .

ويدين ـ ونحن معه ايضا في هذه الادانة ـ الاتجاهات التي افرزتها هزيمة حزيران ١٩٦٧، والتي تدعي ان طريقنـا للنهضة الجديدة يجب ان تكون في خط معاكس للماضي بحجة ان هذا الماضي هـو سبب تلك الهزيمة ،ويرى أن تلك الادانة المطلقة للماضي كله تتناقض اعمق التناقض مع جدلية التاريخ،ونحن نهتف معه اذ يقول بان«الاخفاق مكتوب لكل ثورة تريد ان تبدأ دائمـا من جديد ،اي من نقطة الصفر ، هادمة مشاركة الاجيـال السابقـة ، زراعـة العسف والاعتباط في مقاييس الانطلاق التي تبنـى عليهـا المجتمعـات » .

انه يؤكـد استمرارية الثورة ، واتصال حلقاتها ، وموضوعيـــة ارضيتهـا ..

كمـا انه يرفض ـ ونرفض معه ـ مطلب اصحاب ذات الاتجاهـات في الثورة الكاسحـة التي لا تبقي ولا تذر . والتي تتنكـر لاي اتجـاه قائم او اي مؤسسات او تنظيمـات وجدت في تاريخ المجتمع العربي حتى الان ، وتنتهي الى التعالي على الشعب وتحقيره وازدرائه بلصق كـل الاتهامـات والشتائم به .. وبعد تيئيسه من حضارته الراهنة والتهجـم على تراثـه جملـة ...

والدكتور سهيل ادريس اذ يستنكر ذلك منطلقا للثورة ، فانمـا لانـه يعتقـد ان حاضرا له كل هذا السواد والظلام ، وشعب فيه كل هذا القصـور لا يمكـن ان يقوم بثورة الاطلاق .. ومن ثم فان الحديث عـن الثورة بواسطـة الشعب امر لا وجود له ، وتصبح الثورة نفسها غير ذات موضوع .. « تصبح كلمة ميتة لانهـا ترفض ان تستمد نسغها من العرق الحقيقي الذي يغذيهـا» ...

لكـن ، ما هي الثورة الثقافية موضوع الحديث ؟

وقبل ذلك .. هل هناك حقا شيء قائم بذاته اسمه الثورة الثقافية؟

هذه هي القضيـة التي نود مناقشتها مع الدكتور سهيل ادريس، قبل التعرض لمواد العدد الممتاز من مجلة الآداب ..

نحن لا نعتقـد بان هناك شيئا اسمه الثورة الثقافية . ولم يشهد العالم كله ـ باستثناء الصين ـ مثل هذه الثورة ، كمـا لم يشهدها عالمنا العربي مـن قبـل .

الذي حدث دائما في كل التجارب الثورية ، هو ثورة شاملـــة والثورة الشاملـة بدورهـا هي عمليـة موضوعية ، لا تحدث الا تحت شروط محددة جدا جاءت في ادبيـات الثوريين العظام الذين عممـوا قوانين الثورة .. وخاصة لينين .

والثورة ، او الثورة الشاملة ، هي عمليـة تغيير جذري يمتد الـى كل حياة المجتمع ،ولا يتركه الا وقـد انتقل من طور الى طور ارقـى، من مرحلـة نوعية من مراحل نموه الى مرحلـة نوعية اخرى .. هكذا كانت الثورة البرجوازية انتقالا بالمجتمع من الاقطاع الى الراسمالية .. وكانت الثورة الاشتراكيـة انتقـالا به مـن الراسمالية الى الاشتراكيـة .. وكانت الثورة التحريرية الوطنية انتقالا مـن السيادة الاستعمارية . الـى الحريـة الوطنيـــة .

والثورة هي العمليـة المناط بها احداث التغيير الجذري في كـل شيء . فهي تمهد لنفسها بتقويض كافة اسس النظام القديم : تعرّي مؤسساته السياسية ، وتفضح بنيته الاجتماعيـة والحضارية المتخلفة ، وتكشف زيف ثقافته . ثم هي بعد ذلـك تبدأ عملهـا بالاستيلاء علـى مقاليـد السلطـة ،في المجتمع ، وتضع على دست الحكم القوى صاحبة المصلحـة في التغيير ،ثم تعمل على تحقيق برامج جديدة تلائم المرحلـة الجديدة تشمل النواحي الاقتصاديـة والاجتماعية والثقافية .. معا .

اذا تحرينا الدقـة العمليـة اذن ، فنحن لسنا طلقاء فـي ان نتحدث عن ثورة ثقافية بمعزل عـن الثورة . فالثورة الثقافيـة ليست الا وجهـا من وجوه الثورة الشاملـة .. واحدى مهامها .

ومن ثم فان الحديث عن ثورة ثقافية مجردة هـو في الواقع حديث لا يستنـد علـى اسـاس .

وربمـا كان الدكتور سهيل ادريس ـ وكثيرون ـ يعني بالثـورة الثقافية ، حركة انهاض وفوران في مجال معين من مجالات حياتنا هـو اكثر مـا يكـون التصاقا بدور المثقفين الذين ـ مع افتراض الاخلاص الشديد ـ يودون ان يؤدوا رسالتهم ، ارتقاء بشعبهم، ومساهمـة فـي تطويـر حياته في مرحلـة عصيبة من مراحلها ..

لكن القضيـة تكتسب ابعادها الحقيقية عند مراجعة ما كتـب فعلا تحت هذا الشعار .. شعار نحو ثورة ثقافيـة عربية .

ان مطاع صفدي يتصدى للبنية الحضارية العربية ، مركزا علـى دور اللغـة .. وهـو يبيـن في بحثه ان « ازمـــة العالم الثالث ـ ومجتمعنا العربي منه في المقدمة ـ تكمن في ان بنياته الفوقية ليسـت انعكاسـا موضوعيا لبنياته التحتية ، بقدر مـا هـــي انعكاس لبعض البنيات الفوقيـة الواردة عليه من خلال نمطيات العصير التكنولوجي منقولـة اليه ومشوهـة من خلال علاقات التقدم والتخلف . وينتهي ـ ولسنا الان في معرض مناقشة ـ الى ان « كل ما تستطيع فعله الثورة الثقافيـة العربيـة هـو التبشير بوجود عالم الاشياء ، والبحث عـن اساليب تغييرهـا ..»

« .. فما لم يوجـد بعـد انمـا هـو ثورة الاشياء تحت ثـورة الالفـاظ ».

اي ان يعالـج قضيـة القضايا في الثورة الشاملة ، قضية تغيير الاشياء .. اي تغيير الواقـع .

اما د . عصمت سيف الدولة ،فانه يتناول القضية المحورية فـي

الثورة العربية المعاصرة .. الثورة الفلسطينية .. في علاقة هذه الثورة بالوحدة العربية وبحركة القومية العربية الكلية .. اي انه في الواقع يتناول القضايا الكبرى والرئيسية للثورة العربية الشاملة ..

ويكاد بحث محيي الدين صبحي ان يكون معالجة ضافية لابرز مشكلات الوحدة .. مشكلة التجزئة .. وهو لا يكتفي بالتحليل، وانما يتطوع بتقديم مقترحاته لاعمال مثيرة .. المهم فيها انها تتصل مباشرة بالموقف السياسي .. في جميع الدول العربية ..

وهم جميعا ـ ومقالاتهم اساسية في العدد ـ لا يعالجون قضايا ثقافية خالصة ، بقدر ما يعالجون القضايا الكبرى للثورة العربية المعاصرة . .بل قضاياها المركزية .

ما الذي يعنيه ذلك ؟

انه يعنى ان شعار الثورة الثقافية يتخذ اطارا لمعالجة الثورة كلها .

وما الخطر ؟

الخطر يكمن في أن قضية الثورة الكلية ، ليست قضية ثقافة .. وليست قضية مثقفين .

فالثورة الثقافية ـ او الوجه الثقافي للثورة ـ ليس الا جزءا من كل ، وما ينبغي بحال من الاحوال ، التضخيم في الجزء ليصبح، تعسفا، هو الكل .

وعندما يزعم المثقفون لانفسهم حقا اكثر مما لهم ، فان ذلك ينطوي على مرض خطير .. هو الادعاء .

ذلك ان الثورة هي من صنع الشعب ، من صنع الجماهير .وهي كعمل واع منظم ، لا تتم الا عندما تتوفر للشعب وللجماهير طلائع سياسية تكون مؤهلة لقيادة الثورة .

وهي مسالة تتصل بالسياسة في المحل الاول والاخير .

والسياسة هنا ـ كالثورة ـ هي النظرة الشاملة الكلية .فلايستطيع أحد أن يقود ثورة ، بنظرة جزئية او احادية الجانب ، او نوعية الاتجاه .. او متخصصة .

ولا يصلح لنفي هذه الحقيقة ان طلائع الثورات تضم عادة في قممها المثقفين . وانه غالبا ما احتل المركز البارز في الثورات الكبرى مثقفون . او ان منظري الانسانية ، ومؤسسي انعطافاتها الكبرى كانوا منهم دون سواهم .

فحقيقة ان ماركس وانجلز ـ على سبيل المثال ـ كانا من المثقفين. وان ماركس كان مثقفا اكاديميا .وكذلك كان لينين مثقفا بحكم الانتماء الطبقي والمهني . والثلاثة اثنان منهم هما مؤسسا الاشتراكية العلمية ، والثالث هو مطورها في عصر الامبريالية ومطبقها في اول ثورة اشتراكية في العالم .

ومع ذلك ، فهل كان هؤلاء الثلاثة مثقفين في الاساس ، او مثقفين ثوريين كما نحب ان نقول نحن اليوم . وكما نطلق على مثقفينا من حملة الفكر التقدمي ؟

كلا . فلم يكن اولئك القادة مثقفين في الاساس ، وانما كانوا سياسيين . انهم هذا النوع الموسوعي من رجال القضايا العامة ، الذي ربط ثقافته ، وعلمه ، ونشاطه العملي ، وحريته، وكيانه كله بقضية الثورة .. وفي نفس الوقت ـ وهذا هو الاهم ـ فهم رجال حركة ثورية منظمة ، تلتحم بالجماهير في كل واحد .. تتحول مع الافكار الى قوة مادية فعالة .. تصبغ الثورة .

انهم مناضلون .. حزبيون .

هؤلاء هم قادة الثورات وصناعها .

وليس ضروريا ان يكون قادة الثورة وصناعها من المثقفين الاكاديميين .. كما انه ليس ضروريا ان يكونوا من المثقفين المهنيين او الانتيليجنسيا .. فهذا يتوقف على الظروف الموضوعية لكل ثورة.

فكما كان ماركس اكاديميا يتخصص في دراسة الفلسفة .. كان لينين محاميا لا يكتسب ثقافته الواسعة من تكوينه كمحام بقدر ما اكتسبها من اهتماماته كمناضل ثوري مخلص وكان ماوتسي تونج نصف مثقف .. وكان هوشي منه عاملا ..

وليس الامر قاصرا على القادة الماركسية .

فجمال عبدالناصر قائد الثورة الوطنية الرائدة في العالم الثالث، لم يكن مثقفا في الاساس، وانما كان ضابطا يحترف الجندية .

وقادة الثورات بالضرورة ليسوا افرادا متفوقين ، يكتسبون عظمتهم من صفات فردية اسطورية . ولكنهم رموز لحركات دقيقة وامينة عن متطلبات نضالها في مرحلة بعينها . هكذا كان ماركس وانجلز قائدين للبروليتاريا الدولية ، وكان لينين زعيما للحزب الشيوعي الصيني وكان هوشي منه زعيما لحزب العمال الفيتنامي وكن جمال عبد الناصر زعيما لحركة الضباط الاحرار .

وهم ، أيا كانت تكويناتهم ، وأيا كان ارتباطهم بالثقافة ـ قربا او بعدا ـ يكونون في العادة ، وبالضرورة ايضا ، اكثر الناس هضما لمشكلات مجتمعاتهم ، واكثرهم ادراكا للمسيرة الصحيحة نحو الثورة قبل حدوثها ، وبالثورة بعد النجاح . هم الذين يملكون المقدرة على التخطيط للثورة ، ووضع استراتيجيتها وتكتيكاتها ، وتنظيم صفوفها، طليعة وجماهير واحتياطيا ..

لكنهم لا يفعلون ذلك بوصفهم مثقفين . وانما بوصفهم قادة، سياسيين ، ذوي نظرة كلية شاملة ، هي نفسها تعبير دقيق عن كلية الثورة وشمولها .

وهم في ذلك يفترقون عن اي مثقفين .. حتى عندما يكون هؤلاء المثقفون من الموسوعيين ، ذوي المعارف والنشاطات الثقافية المختلفة والمتنوعة .. لان للمثقفين مجالا محددا هو مجال الثقافة .. وهذا المجال ايا كانت صلته بالحياة والمجتمع والثورة .. فانه يبقى دائما مجالا نوعيا من مجالات الحياة والمجتمع والثورة .. ولا يصبح غير ذلك الا اذا حدث فيه تحول كيفي ، تصبح فيه السياسة هي السمة الرئيسية.

ما الذي نريد ان نصل اليه بعد كل هذا الكلام ؟

الواقع اننا نشير به ـ ونرجو ان نكون مصيبين ـ الى ظاهرة خطيرة تبدو واضحة في عالمنا العربي الان :

فالثورة لا تبقى ثورة كما هي في كل مكان .. ولكنها تفصل وتجزأ الى ثورات « سياسية » و« اجتماعية » و« اقتصادية » ..«وثقافية ».

لكن « الثورة الثقافية » ـ نظرا لانها مجال عمل الفكر ـ تتحول الى معالجة كل شيء، كل قضايا الثورة .. لتصبح فعليا هي الثورة كلها .. او ـ ومع استعارة تعبير للاستاذ مطاع صفدي ـ تحدث عملية استبدال ، تستبدل فيها الثورة الشاملة بالثورة الثقافية .

وبما ان « الثورة الثقافية » هي عمل المثقفين ،وهم وحدهم فرسانها .. وان الثورة الثقافية هي ، كما قدمنا ، بديل للثورة كلها ،يصبح المثقفون منظري الثورة .. بل وقادتها .. ويتضخم دورهم ، ويصبح بديلا عن القيادات الحقيقية للثورة ..

وبما ان وظيفة المثقفين الاساسية هي التفكير والتامل والبحث .. ثم الكتابة . فقد تحولت الثورة على ايديهم الى كتابات .. كثيرة ومختلفة .. واصبحت الثورة تمارس على صفحات الكتب والمجلات .

ولعلنا نشهد الان نتيجتين واضحتين ، هما المحصلة الفعلية لهذه الظاهرة :

اما الاولى ، فهي هذا السيل الهائل من الكتابات التي لا اول لها ولا آخر ، التي يطرحها كل يوم مثقفون ، يعالجون فيها كافة قضايا الثورة .. والتي تميل عادة للتنظير واسع النطاق ، واختراع نظريات جديدة ، وايديولوجيات مبتكرة ..

وفي معظم الاحيان ـ او في كل الاحيان على الاصح ـ يتضح فساد هذه الكتابات ، وتظل بعيدة عن حركة الجماهير والثورة ، ان لم تمثل عقبة تعرقل حركة الجماهير والثورة .. ولا مجال للحديث عن التعقيد والاغراب والمنطقة الشكلية والسطحية وغير ذلك من عيوب مثل تلك

ـ التتمة على الصفحة ٨٣ ـ

تتمة نظـرة الى العدد الممتاز
ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٤ ـ

يقدمه هذا المقال يمثل لونا من الوان الحصار بالفكر الذي تتعرض لـه القضية الفلسطينية والثورة العربية ككل . وهـو حصار خطر وضار ومدمر لانه يبدو صادرا عن حرص اكيد على القضية الفلسطينية ومعركة تحرير فلسطين وينبع من موقع الثورة والاخلاص لها والالتزام بهـا والتنظير لمسيرتها . ومخاطر هذا النوع من الحصار الفكري بالغة لانها تضرب بالممارسة الثورية وتعمل على شل تصاعد عمليات الكفاح المسلح الراهن وتخلق المتاهات الجانبية وتزيـد من كثافـة الضباب الفكري حول الموضوع . وفي مملكـة التنظير المجرد ما ايسر المزايدة والتهويم فـي اللاتاريخي او اللامرحلي والعيش فـي مملكـة اليوتوبيا . واصحاب اليوتوبيا يكونون على حق لانهم يحركون اوتار الآمال المجردة ، ولكنهـم يحطمون الواقع ويخونون ثورته ويتوهون عن المسالك العملية والمناسبة من اجل تجاوز اللحظـة التاريخية والواقع وتغييره .

ـ ٢ ـ

ويتناول الاستاذ مطاع صفدي موضوعا هاما هو « نحـو المنهج فـي ثورة ثقافيـة عربية » وما يريـد ان يقرره الكاتب قضية صحيحـة وبسيطـة تمامـا فهناك اتجاه خاطىء ومرضي ينشغل بالالفاظ ويكتفـي بالتعامل مع اللغـة دون التعامل مع الاشياء فعندمـا يفقد المثقفـون السيطرة على الواقع وعالم الاشياء يتخذون من الالفاظ والكلام لعبتهم المفضلـة .. و« ان الثورة الثقافية تتمثل في الثورة على الوجـود اللفظي في سبيل الوجود العيني » . وكل ما تستطيع الثورة الثقافيـة العربيـة ان تفعله « هو التبشير بوجود عالم الاشياء ، والبحث عـن اساليب تغييرها ، بدلا مـن الدوران في عالم الذات اللفظية » .. ولكن الكاتب أجهد نفسه واجهدنا معه لكي يقول لنـا هذه القضية البسيطـة المعروفـة ووصل الى ذلك عبر تركيبات لفظية معقدة وموهمة . وبذلك وقع الكاتب نفسه فريسة لسحر هذا العالم اللفظي ووقـع في نفس الظاهرة التي اخذها على الثقافة العربية وبذلك كـان من المساعديـن على انتشار هذه الظاهـرة وليس الحد منها .

وهناك في المقال العديد من التركيبات اللفظية غير المستقيمة التي يبدو عليهـا مسحـة المصطلح العلمي ولا حقيقة لهـا بين المصطلحـات العلميـة مثل هذه العبارة « غير ان الثورة التي تفجر حضور العالـم متحديـا للمجتمع المتخلف قد تعادل كذلك مولد العلم ومؤسسة الموضوعية العلمية لدى الغرب » . فما هي مؤسسة الموضوعيـة العلمية ؟ فليس للموضوعيـة العلمية مؤسسة حتى تولد او لا تولد في الغرب او الشرق. وهناك ايضا ترجمات لبعض المصطلحات ترجمات غير دقيقـة او غيـر صحيحـة مما جعل من المتعذر فهم الفقرة التي وردت بهـا وجعل عرض الافكـار مستغلقا بالتالي مثل قول الاستاذ مطاع في صفحة ٢٠ «انيقظة العالم الثالث ، وليس الامة العربية وحدها ، مهددة بالوقوع فيما يدعوه (ماكلوهان) باوهام المرحلـة الابجدية . وهي المرحلـة المتوسطة ما بين سيطرة الكتلة ـ الوسيط (mass-media) القائمة على استخدام وسائط الحواس .. الخ » والمقصود هنا بما سماه الكاتب او ترجمـة « الكتلة ـ الوسيط » ، وسائل او وسائط (الاتصال) الجماهيريـة، وهذا مصطلح شائع وذائع ومعروف . وليس هنا « كتلة وسيط وانماهنا جمهور . ولا معنى هنـا لشيء اسمه الكتلة الوسيط بل ان هذا التعبير فضـلا عن خطئه لا معنى له في مثل هذا السياق او غير هذا السياق.

ـ ٣ ـ

أما الاستاذ جورج طرابيشي في مقاله « اساطير المثقفين » فيرى انمن بين ما تعنيه الثورة الثقافية الثورة على المثقفين انفسهم او على نمط محدد منهم . وقد اختار هنا بعضا مـن المثقفين الذين تصـوروا ان ليس للثقافـة من وظيفة غير ترويج الاساطير . وهـو يرى ان الكثيريـن من مثقفينا هو عالم هلوسة . وقد هاجم الكاتب ببراعـة فائقـة الايديولوجية العربية الخاصة الخصوصية لدى ممثيلها البارزين فناقش بعض اراء الاستاذ مطاع صفدي والدكتور عصمت سيف الدولة وركز في مناقشته على الدكتور نديم البيطار في كتابه الايديولوجيـة الانقلابية . وافاض الى حد ما في الاستشهاد من الدكتور البيطـار الذي يرى ـ كما نقل الكاتب ـ ان النازية اكثر ثورية انقلابية مـن الماركسية . ويرجع الكاتب السبب في هذه الصـورة المشوهـة والاسطوريـة والتخريفية التي قدمهـا البيطار لقرائه عن الماركسيـة الى اعتمـاده على مصادر اميركيـة في دراسته .

وقد اشار الكاتب الى لا علمية ولا نقديـة ولا تاريخية هـذه الايديولوجيـة الانقلابيـة التي ترفض العقل والعلم وتعتمد على الولاء الغريزي او الصوفي . وكنت ارجـو ان يتناول هذه « الايديولوجيـة الانقلابية » ككل على نحـو مفصل وبردهـا الى اصولها ـ خاصـة وقد احسست من النصوص التي اوردهـا الكاتب ان هذه الايديولوجية بطانة بالغـة الخطورة لاتجاه فاشي وانهـا تقدم التبرير الفكري المتكامل لـه. وقـد اكـون مخطئـا فانا لـم اقرأ الكتاب بعد . واخيرا فقد كنـت ارجـو ايضـا عنـد حديث الكاتب المتكرر عما يسميه بانحطاط الماركسية الستاليني او غير الستاليني ان يوضح انه لا يجوز تسميتهـا في هـذه الحالـة ماركسيـة .

ـ ٤ ـ

يبدأ الاستاذ محي الدين صبحي مقاله « نحـو فكر قومي ثوري » بالحديث عن الادب ، فيرفض معظم ما كتب بالعربية ـ وربما كله ـ منـذ قرن مضى الى اليوم . فهذا الادب في راينـا لا ينطلق من منطلقـات الوعي القومي ، بل ان منطلقاته ذاتيـة او اقليمية او انسانية». وهو في رايه ضلالات ،فليس لدينا فاوست عربي او راسكولينكوف عربي ... وادبنا « لا ينهض على اساس من التحليل الفكـري للواقع الحضاري الراهن الذي تعيشه الامـة العربية » .

هكذا يبدأ الكاتب بهذه الاحكام المطلقـة العصبيـة والتـي تعبر فقط عن شعـور بعدم الرضا ، والسخط ، والتطلع الى ان يكون لدينـا ادب ونمـاذج ادبيـة كنمـاذج الاداب العالمية المشهورة . وفي حـدود التعبيـر عن هذه « الحالة » فقط يمكـن ان نفهم هذا الكلام . اما اذا رحنا فاخذنـا هذا التعبير عن اسقاط هذه الحالة على انه احكام مسئولة عـن ادبنـا العربي فهنـا لا بـد مـن مناقشـة الامر ، فالمسائل لاتكون بهذه البساطـة او السذاجـة .. فاولا لا نعرف ماذا يقصد الكاتـب بالادب المنطلق من منطلقات «الوعي القومي» بالضبط ولا نفهـم كيف تتعـارض هـذه المنطلقـات القـوميـة مـع المنطلقـات الانسانية . وثانيا ان كل هذا الادب الذي يرفضه وينفيه منذ قرن مضى الى اليـوم هو ـ دون النشاطات العربية الاخرى التي تتضح فيهـا الاقليمية ـ افضل ما يمثل « الوعي القومي » العربي وافضل ما يعبـر عن الواقع الحضاري الراهن للامة العربية .

ثم ينتقل الكاتب الى حديث جاد وصادق عن التجزئة والاقليميـة والاستعمـار والصهيونية وتكويـن اوروبا الحديثة وتفكيرها الحضاري بالنسبة للعرب .. الخ ويقدم ملاحظات عديدة جيدة ويتطرق الى مشاكل هامة ويشيـر الى كثيـر مـن الاساليب الاستعمارية ضد الامة العربية وان كنـا لا نوافقه ايضـا على كثير مـن التعبيرات والملاحظات ولكنـه يقدم بوجه عام ملاحظات مفيدة حول هذه الموضوعات .

وتحت وطأة كل هذه المشاكل التي ينوء بها العالم العربي ييأس الكاتب ويصرخ ان « ليس هناك امل الا بتحطيم الكيانات العربية القائمة عن طريق حركات فوضويـة تخرب المؤسسات القائمة وتتحدى اجهـزة الامـن وتجعل الحياة في المدن مستحيلة ـ تمامـا كمـا يفعل ابطال غزة

ضد اسرائيل » !! .. ويؤكد لنا الكاتب انه مصر على تعبير «حركات فوضوية » مبررا دعوته المتسمة بالرعونة بانها تسقط هيبة الدولة وانها تحدث الفراغ الذي سيتحرك الشعب لملئه ،كما حدث لروسيا القياصرة ففي تقديري ان ثورة ١٩١٧ كان يمكن ان تفشل لولا ان الفوضويين خلال خمسين عاما سبقتها هشموا كيان الدولة ، فلم يجابه لينين من السلطة سوى انقاضها » .

وواضح ان الذي يقول مثل هذا الكلام لا يمكن ان يكون الا يائسا ساخطا رافضا ، يسيطر عليه النزق العصبي الذي اشير اليه في افتتاحية العدد ، ولا علاقة له بالثورة او النزعة الثورية او الفكر القومي الذي يتحدث عنه وانما هو يعكس « حالة » نموذجية طريفة من الصبيانية اليسارية . والامر الاخر انه يخلط في فهمه للتاريخ ،الذي يستشهد به ، فلم يقوض الارهابيون في روسيا كيان الدولة ويهشموه، ولم يقل احد من المؤرخين او غير المؤرخين ـ ولا يمكن ان يقوله احد كائنا من كان على ادنى حظ من المعرفة بتاريخ الثورة الروسية ـ ان الفوضويين كان لهم اثر في نجاح ثورة اكتوبر ١٩١٧ وحالة السلطة التي واجهها لينين لم تكن متصلة بحركات الفوضويين وانما كانت متصلة بالحرب العالمية الاولى ، والتراث الماركسي اللينيني كله ادانة كاملة للحركات الفوضية .

ـ ٥ ـ

● وفي مجال الدراسات عن التراث والدين والفلسفة نجد مقال الدكتور حسن حنفي عن ثقافتنا المعاصرة بين الاصالة والتقليد ، فنحن ما زلنا نواجه الحضارة المعاصرة بمقولاتنا القديمة وما زلنا نرزح تحت عبء التراث القديم في مواجهة التراث الغربي المعاصر .

ويهدف الكاتب الى دراسة الفكر العربي وتحليل موقفنا من الافكار، وقد عرض عددا من الظواهر المرضية في حياتنا الثقافية وركز على ثمانية اتجاهات يعارضها الغرب لاسباب خاصة به ، ونحن تقليدا منا له نعارضها ايضا مع اننا احوج الناس اليها مثل معارضة الغرب لروح التخصص وحاجتنا الى الدفاع عنها ، ودعوته للهجوم على الالية ولا مبرر لنا في مجتمعنا غير الصناعي لتقليد الغرب في ذلك ، ومثل معاداة الغرب للعقل والعلم والموضوعية والتجريب وحاجتنا الملحة الى التمسك بذلك .. الخ وعلى العكس من هذا هناك من الناحية الاخرى دعوات يدافع عنها الغرب بحرارة ونحن احوج ما نكون الى الهجوم عليها وادانتها ورفضها مثل بعض التيارات هناك التي تدعو الى الروحية والفردية .

ويتفاءل الكاتب ـ ومعه الحق ـ ببلاد العالم الثالث « واذا كانت الصين القديمة ومصر القديمة قد قادتا الانسانية وهي في مهدها ، فانهما تستطيعان قيادتها اليوم » .

والفكرة التي يعرضها الكاتب في مجملها فكرة صحيحة وسليمة، وهذا الموقف النقدي من ثقافتنا ومن الثقافة الغربية معا عمل هام وعظيم ، ولا بد من الاضطلاع به وايفائه حقه من الدراسة والبحث والمتانى ، ومن هنا فقد كنا ننتظر من الكاتب الا يكتفي بهذا العرض العام لهذه الاتجاهات السائدة في ثقافتنا العربية المعاصرة ، وكان عليه ان يحدد الاسماء والمفكرين الذين عبروا عن هذه الاتجاهات وان يستشهد ويدلل على الاتجاهات التي عينها وتحدث عنها حتى يمكننا ان نتأكد الى اي مدى تتمثل هذه الاتجاهات في ثقافتنا المعاصرة فعلا وما وزنها في هذه الثقافة . فالسؤال الذي يخطر على البال فورا هو : هل هذه الاتجاهات والمواقف تمثل فعلا ثقافتنا المعاصرة وهل هي ذات وزن وثقل في هذه الثقافة ؟.

هذا من ناحية الاتجاه العام للمقال ، اما من ناحية بعض الاحكام الجزئية داخل المقال فهناك امور تحتاج الى مراجعة ونقاش.مثل حكمه على محاولة فانون بانها محاولة سياسية خطابية اكثر منها فكرية علمية ، ومثل مطالبته بان دعوة علي عبدالرازق كانت تكون جديدة بالفعل لو امكن له تحويل الدين الى نظام اقتصادي سياسي اي الى ايديولوجية يمكن ان تكون نظاما للدولة .

● ويريد الدكتور محمد النويهي في مقاله « نحو ثورة في الفكر الديني » تجاوز الاصلاح الجزئي في مجال الدين وتغيير فهم الناس لماهية الدين ورسالته ، وهو يرفض الاعتراف بفئة خاصة من الناس تسمى رجال الدين .. وهذه الدراسة الموسعة للموضوع فيها كثير من الجرأة والاستفادة من جهود المصلحين الدينيين في العصر الحديث ، ولكنها في نهاية الامر لا تشكل ما يمكن ان نسميه ثورة جديدة في الفكر الديني ، بالرغم مما فيها من جهد طيب ونظرات سليمة متحررة. فالنقطة البارزة في الدراسة والتي تمثل اساسا ما قال عنه الكاتب انه هو التفسير الجديد للدين هي تأكيده على امكانية تجاوز النصوص الدينية حتى ولو كانت نصوصا قاطعة من القرآن نفسه فيما يتعلق بمعارفنا الدنيوية واوضاعنا الاقتصادية ومعاملاتنا الحيوية وعلاقاتنا الاجتماعية أخذا بمبدأ المصلحة العامة ، وهو لا يدعو الى تطبيق هذا المبدأ بطيش واستخفاف . واحب ان اذكر للكاتب ان هناك من بين القدماء من قرر مثل هذا المبدأ صراحة حين اجازوا ان يكون الاجماع والمصلحة العامة مما ينسخ النصوص التي تتعارض معهاوعلى رأس من قال بذلك الامام الطوخي .

ويبقى في هذه المجموعة من المقالات دراسة الاستاذ حسين مروة وهي دراسة تحتاج الى وقفة متمهلة لما تثيره من قضايا عديدة وهامة

ـ ٦ ـ

وفي مجال الدراسة الادبية نجد مجموعة اخرى من الدراسات المستفيضة المكتوبة بعناية والتي تناقش مظاهر الثورة في مختلف مجالات الادب وهذه المقالات وحدها كانت تحتاج الى قراءة مستقلة.

واول ما يقابلنا دراسة عن « الواقعية والثورة الثقافية في الرواية العربية الحديثة » للاستاذ سامي خشبة ، وهذه هي الحلقة الاولى من هذه الدراسة . ويبدأ الكاتب فيناقش المفهوم الشائع والشكلي للواقعية ، ويقدم مفهوما جديدا للواقعية ويربط بينه وبين الثقافة الثورية ليخلص من ذلك الى التساؤل عن قيمة ما يكتبه ادباؤنا الواقعيون في تكويننا الثقافي الروحي من خلال علاقته بالواقع الذي يتحدث عنه .

وفي أطار المفهوم الذي قدمه للواقعية سوف يدرس الكاتب اعمال روائيينا الذين كفوا عن ان يكونوا واقعيين .ويقول الكاتب « ان المجتمع والانسان هما مصدر التجربة الروائية الواقعية الوحيد ومن الصعب ان نجد اي عمل روائي ـ سواء كان واقعيا او غير واقعي ـ ليس مصدره المجتمع والانسان . ويقدم الكاتب مجموعة من الملاحظات التي تحدد مفهومه عن الواقعية ، ويؤكد على نقطة هامة وهي عدم استيحاء الروائيين « الواقعيين » تصورا للواقع لم يعرفوه ، وعدم نسبتهم الى الواقع الذي عاشوه رؤى لم يعرفوها . «ولذلك اصبحت رؤاياتهم مصدرا لمعرفة واقعهم من ناحية ، ووسيلة تصلح للتعامل مع هذا الواقع من ناحية اخرى » .

والكاتب يقول لنا ان نجيب محفوظ كان واقعيا حقا في غالبية رواياته قبل اللص والكلاب (سنة ١٩٦١) وكذلك عبدالرحمن الشرقاوي في« الارض » و« الشوارع الخلفية » ، وسهيل ادريس في « الحي اللاتيني » و« الخندق الغميق » .. وروايات نجيب محفوظ بدءا من « اللص والكلاب » ليست روايات واقعية »« وانما هي نوع من التعليق الواعي على الجانب السطحي والمؤقت من واقع جزئي » .. و« انهاوجهة نظر لا تستطيع ان تثمر عملا يتحول الى جزء من الثقافة الروحية الثورية للشعب » . وهذه الروايات ايضا ـ فيما ينبهنا اليه الكاتب في مقدمة دراسته ـ يمكن ان يقال عنها بمعنى اخر انها روايات « واقعية » .. وكأن الكاتب يريد ان يقول ان العمل الواحد يمكن ان يكون واقعيا بالمعنى الجزئي للواقعية ، وغير واقعي بالمعنى الكلي

للواقعية ... ومن ثم فان المفهوم الذي يقدمه الكاتب « للواقعية » يصبح مفهوما مرنا ومطاطا وبالتالي بعيدا عن الدقة . واعتقد ان المفهوم الموضوع هنا للاعمال الروائية الواقعية « التي تشارك في صنع ثقافتنا القومية من ناحية ، وتشارك في تحويل تلك الثقافة الى ثقافة قومية ثورية من ناحية اخرى » وتساهم في بناء ثقافة الشعب الروحية الثورية .. من الصعب ان يجد له النماذج التي تمثله خير تمثيل وتنطبق عليه بالمعنى الكامل . ولعل الكاتب ان يوضح ذلك فيما يتلو من الدراسة .

واخيرا فلا املك الا القول بأنني استمتعت حقيقة بقصائد العدد وقصصه واذا كنا اكتفينا بمناقشة بعض مواد العدد فان ما لم نقف عنده من دراسات الزملاء الافاضل قد يكون اهم بكثير من بعض الذي نافشناه ؟

القاهرة — عبدالجليل حسن

تتمة قضية الثورة الثقافية

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٦ ـ

الكتابات .. فهي جميعا عيوب طبيعية تلتصق بكل فكر دعيّ ، بعيد عن ممارسة الثورة .

وتتمثل النتيجة الثانية فيما نشكو منه ـ ويشكو منه رئيس تحرير الآداب في افتتاحيته ـ من تعال وازدراء للغير وللشعب،وانكار للماضي والحاضر على السواء ..

وهي كلها مضاعفات طبيعية لمرض الذاتية المتضخم لدى مجموعة من المثقفين ادعوا لانفسهم اكثر مما لهم فاصيبوا بالغرور والاستعلاء .. وظنوا انهم الصواب الاوحد ..وان غيرهم من منظمات سياسية ذات تاريخ طويل ، وقادة ثوريين ادوا دورا تاريخيا بارزا كان هؤلاء المثقفون انفسهم من نتاجه ، وحتى حركة الجماهير نفسها ـ لا تستحق الا الانكار والتسفيه .

فلقد صمموا الثورة في أخيلتهم .. وكتبوها ـ بقدر مايستطيعون ـ في صفحات الكتب والمجلات .. ثم اذا بكل اولئك لا يعترفون بان هذه هي الثورة ، ولا يقدسون كتبهم .. فكانت لفتهم القاسية ، المريرة، اليائسة .

ولسنا في حاجة الى التدليل على ذلك كله بأمثلة من عندنا، فقد اغنانا الاستاذ جورج طرابيشي عن ذلك بما اورده من اساطير المثقفين في مقاله الممتاز في نفس العدد .

فقط نستطيع ان نقتطف منه ما يتفق مباشرة مع ما نذهب اليه .

يقول جورج طرابيشي عن « الحالة » بشكل عام : انهم « قد اعتبروا انفسهم ، بحجة الفراغ الايديولوجي ،في حل من كل ارتباط والتزام واقعيين واباحوا لانفسهم الاندفاع وراء شطحاتهم ومغامراتهم وعملقاتهم الايديولوجية المنفلتة من كل عقال غير عقال الخيال الذي لا عاقل له » .. ويقول « وليس من قبيل الصدفة ان يعلن احد اولئك المثقفين (الدكتور نديم البيطار) ان مسئولية المفكر « اكبر من مسئولية السياسي » وان الثورة العربية قد انتهت من طور السياسيين لتدخل في « طور الانبياء ... » .

ويورد نصا للدكتور البيطار ايضا يقول فيه :« هذا النوع من الانقلاب (من النبوة) قليل الحدوث ، لانه يفرض قيام وضعية انقلابية تتميز بفراغ عقائدي هام ، تمحى فيها الرموز والقيم والقواعد العقائدية القديمة ككل ، فيصبح الفرد وجها لوجه امام الحياة والتاريخ دون اي مفهوم انساني يضبط علاقته بهما .. !!

وعلى لسان الدكتور عصمت سيف الدولة تجيء الكلمات التالية:

« .. لهذا كان على كل عربي يريد ان يؤدي دورا فكريا في هذا الميدان (ميدان ابداع الايديولوجيا) ان يبدأ من اصعب النقاط : الصفر » !

ويذكر لمطاع صفدي اعلانه على لسان مارتان هيدجر ان« فيلسوف العصر ، عبر كل التراث من أفكار الانسانية ، ما زال يحس ان الانسان لم يفكر بعد . او ليس ذلك لان حاجة التأسيس ،حاجة البدء من الصفر ، هي المسألة التي لا جواب عليها بعد ، مهما حاولنا ان نخصب غابات من الاجوبة » !

وجورج طرابيشي محق تماما ـ ونحن معه طبعا ـ عندما يستنتج من ذلك دليلا اكيدا على التعالي « والنخبوية » ، وانكار اي جهد سابق او حال في انارة طريق الثورة .

اما عن ازدراء الجماهير فانه يورد نصا صريحا للدكتور البيطار يدل دلالة قاطعة على موقف هذا الفريق من المثقفين .. يقول الدكتور البيطار :« ان جمهرة الناس واكثريتهم في كل مجتمع من المجتمعات لهي كائنات جامدة كالدمى وغير خلاقة ، تكتفي باتباع العادات الجارية والتقاليد السائدة . فهي ذات نفسية تقليدية تجاري ما تجده وما يتوفر لهم من نظم . اما الخلق والابداع فهما دائما من عمل فئات واقليات ضئيلة تجابه ازمات التاريخ وتقود المجتمعات في احرج ازماتها » !!

والى اين ينتهي هؤلاء المفكرون « النخبة » ..؟

ان جورج طرابيشي يستخلص ـ ببراعة وعمق ـ آخر كلماتهم :

« فالاستاذ مطاع صفدي ـ والكلام لجورج طرابيشي ـ حرر ما يزيد على الف صفحة عدد صفحات كتابيه « الثوري والثوري العربي »و « الثورة في التجربة » ليقول لنا في نهاية المطاف ان « نظرية الثورة » ما تزال « قيد الطبع » . وبالرغم من انه قد مضى على هذا الاعلان حوالي سبع سنوات ، فاننا ما زلنا بانتظار خروج « نظرية الثورة » من المطبعة » ...

« اما الدكتور عصمت سيف الدولة ـ ولا يزال الكلام لجورج طرابيشي ـ فقد سدد اكثر من اربعمائة صفحة ليعرض « اسس الاشتراكية العربية » ، فاذا بالقسم الاعظم من كتابه مكرس لنقد الماركسية او لما يتوهم انه نقد للماركسية . اما الصفحات القلائل التي خصصها للحديث عن « الاشتراكية العربية » فانها من هذا النمط من الانشاء الذي اعتدناه في مرحلة طفولة الفكر السياسي العربي ..» .. وبعد ان يورد بعض النصوص التي تؤكد ما يراه .. يذكر قول الدكتور عصمت سيف الدولة بان الاشتراكي العربي « هو من يدعو ويناضل في سبيل الحرية والوحدة والاشتراكية معا .. وبالاكتشاف العبقري .. هكذا يعلق جورج طرابيشي !!

اما الدكتور البيطار فانه ينتهي ـ كما يقول جورج طرابيشي اخيرا ـ الى « ان كل حركة انقلابية (اي ثورية) تحتاج حتى تكون فعالة الى فوزد (لقلب ستالين)» الى دوتشي ، الى فوهرر ، الى رسول .. وذلك لان الجماهير ـ وهذا كله كلام البيطار ـ تعبد الشيطان ان لم تجد الها تعبده » !

الامور واضحة جدا : نرجسية متضخمة ، وتعال على الجماهير وعلى كل شيء ، وتخبط مريع وساذج في امور خطيرة ... تتصل اتصالا وثيقا بحياة ملايين الناس الطيبين المنتجين الذين يناضلون ليل نهار من اجل التقدم على الطريق الاشتراكي .. وليس على طريق « اساطير المثقفين » !

وفي العدد الاخير من الآداب نفسه ، تمثل مقالات القضايا الكبرى للثورة ، وهي مقالات الدكتور عصمت سيف الدولة (الوحدة العربية ومعركة تحرير فلسطين) ومطاع صفدي (نحو المنهج في ثورة ثقافية عربية)ومحيي الدين صبحي (نحو فكر قومي ثوري) .. حيث يدعو الاول لالغاء الثورة الفلسطينية والشعب العربي الفلسطيني وينكر خصوصية النضال الفلسطيني ويرفض ان يقوم الفلسطينيون بالدور الاساسي في تحرير فلسطين ، بدعوى ان تحرير فلسطين لا يتم الا بواسطة القوى

القومية العربية المتحدة ـ وليست المتحالفة ـ وبدون اي تجزئة لها ما بين قوى قومية وقوى فلسطينية !! ويقدم الثاني تفسيرات مبتكرة غاية في الغرابة والابتعاد عن حقائق الواقع العربي عندما يصور لنا ان ازمة العالم الثالث ـ ونحن منه ، هكذا بشكل عام ـ تكمن في ان بنياته الفوقية ليست انعكاسا موضوعيا لبنياته التحتية ..

ويقدم الثالث صرخة هستيرية يائسة وفوضوية لتحقيق الوحدة العربية (!) فيقول ان « ليس هناك امل الا بتحطيم الكيانات العربية القائمة عن طريق حركات فوضوية تخرب المؤسسات القائمة وتتحدى اجهزة الامن وتجعل الحياة في المدن مستحيلة . تماما كما يفعل ابطال غزة ضد اسرائيل » !!

هذه المقالات لا تحتاج لجهد كبير (ونحن لن نناقشها هنا بتفصيل لان مناقشة موسعة معها يتضمنها هذا العدد في موضع آخر) .. لكى نوضح كيف ان عندما ادعى المثقفون اكثر مما يستطيعون ، وخرجوا عن مجال نشاطهم الطبيعي بوصفهم مثقفين ، وحاولوا ان ينصبوا من انفسهم ، قادة عموميين للثورة العربية .. فانهم اخفقوا اخفاقا صارخا .. لا كقادة فقط .. وانما كمثقفين ثوريين ايضا .. وذلك بقدر ما ابتعدوا عن المنهج العلمي في رؤية الظاهرة الثورية العربية ، وعجزوا عن تحليلها التحليل الصحيح !

***

على ان العدد الماضي من الآداب لم يقتصر على هذه المقالات وانما تضمن مواد اخرى كثيرة .

فعدا الانتاج الادبي (مسرحية و٣ قصص قصيرة و١٦ قصيدة).. فهناك الدراسات الادبية التي تتناول بالعرض والتقييم كافة النشاطات الابداعية (الواقعية والثورة الثقافية في الرواية العربية لسامي خشبه ـ الثورة في المسرح العربي لفؤاد دواره ـ الاقصوصة العربية والثورة لصبري حافظ ـ اصابع حزيران والادب الثوري للدكتور احسان عباس ـ الشعر والثورة لمحمد دكروب) وهي مع « ثورة الكوميديا في المسرح المصري » لمحمد بركات و« الفنان الثوري » لسالم جبران .. تقدم سجلا حيا لحياتنا الادبية ، ودراسة علمية للظواهر الادبية العربية المعاصرة .. وايا كانت وجهات النظر التي تضمنتها فانها عمل اساسي خطير يقدم العدد الماضي من الآداب كاساس موضوعي لدراسة ادبنا العربي المعاصر ، وادارة حوار فعال بشانه ..

كما تضمن العدد كذلك عددا من الدراسات الحيوية ذات الاهمية القصوى في حياتنا الثقافية .. فهناك دراسة الدكتور حسن حنفي التي تجد نفسها من خلال معاناة مخلصة ـ تنطلق من وعي عميق بالتراث العربي ومعرفة عريضة بالثقافة الغربية ـ للبحث عن اوجه التقليد للثقافة الغربية في ثقافتنا ، وكذلك عن مركبات نقصنا في مواجهة تلك الثقافة .. ثم هناك الدراسة الجيدة التي قدمها حسين مروة حول الموقف من التراث في الدين والفلسفة ، والتي اراد بها تقديم منهج علماني موضوعي لمعالجة تراثنا والاستفادة منه ، مع تقديم نماذج لتطبيق هذا المنهج على بعض القضايا .. وهناك دراسة الدكتور محمد النويهي « نحو ثورة في الفكر الديني » التي قدم فيها جهدا عميقا لكشف الاستخدام السلبي للدين ضد التقدم ، وفضح الاتجاهات الكهنوتية التي ارادت ـ وتريد ـ ان تفرض وصاية على المجتمع تشل حركة نحو الامام باسم الدين ، وهو يقدم دراسة كلها من خلال منظور اساسي هو عقد حلف ثابت بين المؤمنين وغير المؤمنين من اجل مصلحة الثورة . وهي مهمة جليلة حقا .. وثورية حقا .

فاذا بقيت لنا كلمة نختتم بها هذا المقال ، فهي ان هناء في مجال الابداع ، والدراسات الادبية ، والدراسات الثقافية التي عددناها مؤخرا .. هنا قدم لنا العدد الماضي من الآداب جزءا مما يمكن اعتباره الوجه الثقافي للثورة .. او للثورة الثقافية .. مجازا . وهنا استطاع المثقفون ـ ايا كانت وجهات نظرهم ، وايا ما تفاوتت قدراتهم ـ ان يسهموا اسهاما ايجابيا في حركة الثورة باسهامهم الايجابي الموضوعي في جانب من جوانبها .. فلانهم التزموا بدورهم كمثقفين ... وكانوا امناء مع انفسهم . فقد نجحوا !!

القاهرة

جمال الشرقاوي

متى يطلع الفجر يا رفيق ؟

قصة الثورة الروسية

بقلم جان بول أوليفيه

ترجمة جورج طرابيشي

صدر حديثا عن دار الآداب

٧٠٠ ق . ل .